دليل الـمنطق العلوي

بقلم الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو

البيـانُ الأكبرُ للمنطقِ العلويِّ هو قولُ الإمـامِ علي (م): (الأوَّلُ الـذي لم يكنْ له قَبْلٌ فَيَكونَ شـيءٌ قَبلَهُ، والآخِرُ الذي ليسَ له بَعْدٌ فيكونَ شـيءٌ بَعْدَهُ، والرَّادِعُ أَنَاسِـيَّ الأبصـارِ عن أن تَنَالَهُ أو تُـدْرِكَـهُ)، فالأزَلُ عكسُ الأبَدِ، والأوَّلُ عكسُ الآخرِ، والأزَلُ ما لا أوَّلَ لَهُ لِنَفي الأوَّليَّةِ، والأبدُ ما لا آخِرَ له لِنَفي الآخِرِيَّةِ، والسَّرْمَدِيَّةُ ما لا أوَّلَ لَهُ ولا آخِرَ، بدليلِ قولِ سيِّدنا الْمسيح (ع): (هُوَ وحدَهُ لا نِدَّ لَهُ، لا بدايةَ ولا نهايةَ لَهُ).

إنَّ حقـيقةَ وجـودِ الحـقِّ قائمةٌ بالْمُـقابلةِ ولو بالْمَـعنى الواسعِ، ولولاها لا تتحقَّقُ، والْمقابلَةُ لا تنفكُّ عن صفاتِ الْمَوجودِ في جهةٍ ومكانٍ، وهذا لا يسـتلزمُ أن تكونَ ذاتُهُ ذاتَ جهةٍ ومكانٍ؛ أي إنَّ تجويزَ وجودِ الحقِّ لا يسـتلزمُ التَّشـبيهَ في منطقِنا العلويِّ الذي يتفرَّدُ بفهمِ التَّوحيدِ الْمحفوظِ في الكتابِ الْمُقدَّسِ كالبيانِ الذي جاءَ فيه: (إنَّ السـَّمَاوَاتِ انْفَتَحَتْ، فَرَأَيْتُ رُؤَى اللهِ.... وَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَرَرْتُ عَلَى وَجْهِي، وَسَمِعْتُ صَوْتَ مُتَكَلِّمٍ)، فالتَّوجُّهُ إلى السَّماواتِ من صـفاتِ السَّالكِ العارفِ الـذي رأى التَّجلِّيـاتِ فَخَرَّ لوَجهـهِ لِعَجزِهِ عن إدراكِ الجوهرِ، وسمعَ صـــوتَ مُتَكَلِّمٍ للـدَّلالةِ على الْمُتكلِّمِ إثباتًا. فالدَّليلُ السـَّلبيُّ بعقيدةِ الآخرينَ هو نفي الْمُتكلِّمِ، أمَّا دليلُ الْمَنطقِ العلويِّ فهو نفي الكلامِ عن جوهرِ الْمُتَكَلِّمِ والفرقُ شاسعٌ، لأنَّ وجودَ الحقِّ عندَ الآخرينَ يَستلزِمُ التَّشبيهَ لِذَاتِهِ، وهذا محالٌ في منطقِنا العلويِّ.

من جهـة أخرى: إنَّ وجودَ العِلَـلِ مشـــتَرَكٌ بين كلِّ الْمُمْكِنَاتِ، بدليلِ ما وردَ في الكتابِ الْمُقدَّسِ من بيانٍ جاءَ فيه: (قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى عرشـهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ)، فلابدَّ للإثباتِ الْمُشـترَكِ من عللٍ مُتعدِّدَةٍ وهي إمَّا العدمُ أو الحُدوثُ، وبما أنَّ الحالتين لا تَصـلُحانِ للواجبِ لِذاتِهِ لأنَّ ذلكَ أمرٌ مستحيلٌ، فإنَّ صحَّةَ وجودِ العِلَلِ مشترَكةٌ بين كلِّ الْمُمكِنَاتِ.

وَمَن يَرجِعُ إلى ما أُثِرَ عن الأنبياءِ والرُّسـلِ (ع) سـيَقِفُ على أنَّ نهجَهم في ذلكَ هو امتناعُ الإدراكِ، وأنَّ الجوهرَ لا تُدرِكُهُ أوهامُ القلوبِ. فالإدراكُ هو الوصولُ وليسَ بمعنى الشُّهودِ، ولو أُريدَ منهُ الشُّهودُ فإنَّما هو باعتبارِ قَرينةِ الْمُتَعَلِّقِ، فالشُّهودُ نوعان: شـهودٌ مع إحاطَةٍ، وشهودٌ من غيرِ

إحاطَةٍ، والشُّهودُ مع الإحاطةِ هو الْمُسَمَّى بالإدراكِ، فَنَفْيُ الإدراكِ عن الْمُتجلِّي يعني الشُّهودَ من غيرِ إحاطَةٍ، ولا يعني نفيَ الشُّهودِ له.

وقد تَجَلَّى الرَّبُّ للجبلِ فرقانًا بإحدى حالاتِهِ، وهو أصفَى من أنْ تُكَدِّرَ صفوَه الشُّبهاتُ، ومَن قرأ ما ذكرنا بإمعانٍ وتأمُّلٍ، وَقَفَ على أنَّ الحقَّ مع منطقِنا العلويِّ بدليلٍ عَقْليٍّ ونصِّيٍّ.

الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو